الفلسفة والثورة التحريرية الجزائرية

(شهادات – مواقف)

✍ الدكتور محمد شطوطي
جامعة الجزائر -2-

تمهيد

لقد كان الإنسان ولا يزال بعقله يعرف، وبعمله يقيم، وبفكره ينتج،وإذا أردنا الحقيقة قلنا أن العقل سيد في المواقف الصعبة،ولا يمكن أن لا يكون كذلك في حياة الأمم والشعوب التي تريد حياة العزة والكرامة...

إن فلسفة الثورة التحريرية الجزائرية كانت في طريق الحرية والتحرر،وإذا أردنا الحقيقة إنها ثورة المواقف والفلسفة مواقف، إنها ثورة القرار من أجل المبادئ التي لا يمكن أن تباع أو تشترى،وإنما هي تؤخذ بالقوة تارة،وبالسياسة تارة أخرى لقد أخذ الشعب الجزائري الثائر قرارا لا رجعة فيه بخوض الكفاح المسلح ضد النظام الاستعماري رغم الظروف الصعبة والمعقدة سواء في المجال المادي أو التنظيمي، ورغم السياسة الاستعمارية القائمة على القمع، والنهب الاقتصادي...

لقد كان لزاما على الشعب مهما كانت الوسائل والتضحيات أن يصفي قواعد الهيمنة الأجنبية بحد السلاح، وكان لزاما عليه أن يصفي حسابه من العبودية في صورتها الاقتصادية ،والاجتماعية...إن الشعب الجزائري المعتز بنفسه والفخور بعظمة تاريخه ظل يعيش تحت النير الاستعماري البغيض وسيطرة الجيش الاستعماري الذي حول وطننا إلى سجن مترامي الأطراف ومحتشد تنعدم فيه حقوق الشعب والإنسان، فقد كان الاستعمار يرد في كل مرة على مطالب الحركة الوطنية بالمذابح والسجن والبرامج الخاصة المتمثلة في محو الشخصية والتخريب الشامل.

لذلك كان للقرار الثوري أبعاد كبيرة في حياة وتاريخ الشعب الجزائري إن الشعب الجزائري الذي حنكته التجارب والتحولات الثقافية والسيكولوجية (النفسية) والذي أدرك حقيقة الوضع وتغلب على التناقضات وعرف أبعاد مأساته ومقتضيات الكفاح ضد

الاستعمار قد عقد العزم بقيادة الطليعة الثورية جبهة التحرير الوطني على الكفاح ومن هنا انطلقت الثورة الأولى لتتير سماء الوطن في أول نوفمبر 1954م ولسان حال الشاعر يقول:

ليلة نوفمبر 1954
أيها الناس
أزف إليكم خبرا
رجولتنا ستعود
بعد أن قرروها
ليلة...
من كل الزمن حرروها
أشعلوها
كتبوها
رجال من وراء التل
للتاريخ سطورها...
لتكن أرضنا
محضرة
بعد أن كانوا
نسوها
اليوم يبدأ
التأريخ
الله أكبر
قالها الجمع...هنا
فرددتها
قلوب العذروات
اليوم... يوم
البطولات
بها تنتهي
كل الخرافات

علموها
للبنين والبنات
وأصنعوا
عزتكم منها
فالحب لا يعرف
المستحيلات
ها هو نوفمبر
تقوده رجالات
سجل فهو من
المعجزات..[1]

شهادات

1. فدائية تصرح للبوليس:

أوقفت السلطات الفرنسية في أوائل الأسبوع الماضي فتاتين اتهمتا بالمشاركة في عمليات الفدائيين، وبالأخص في عمليتي الملعب الشهيرتين، وقد كانت مهمتهما تتلخص في حمل القنابل ونقلها إلى مكان الحادث...

وهذا نص استجواب أحداهما، وهي باية حسين:

س: متى عرفت منظمة جبهة التحرير الوطني؟

ج: لقد كنت ككل جزائرية معجبة بالنشاط الثوري ومتتبعة للأحداث باهتمام شديد ولكني لم أتشرف بالدخول في منظمة الجبهة إلا في أكتوبر 1956م.

س: كيف تعتبرين الثوار؟ أليسوا مجرمين؟

ج: إنني اعتبرهم المثل الأعلى للإنسانية الفاضلة فهم مثال البطولة والشجاعة والفداء...

س: عجيب، وهذا رغم قتلهم للنساء والأطفال؟ ألم تندمي في يوم من الأيام على أعمالك؟ ألم تفكري في الضحايا الأبرياء اللاتي تصيبهن قنابلك؟

ج: نعم، لقد فكرت، ولكني فكرت أيضا في آلاف الضحايا الأبرياء من الأطفال والنساء، والشيوخ الذين يذهبون ضحية قنابل الطائرات ومدافع الهاون...

إنني أعلم أن عمليات الفدائيين قد تصيب الأبرياء، ولكن ذلك هو سبيلنا الوحيد لبلوغ هدفنا الذي هو هدف إنساني في أعماقه...قد يبدو هذا غريبا، ولكن لا غرابة في الواقع ما دامت غايتنا نبيلة شريفة...ومادمنا نضحي ببعض من جيل اليوم لكي نضمن للأجيال المقبلة حياة آمنة في ظل السيادة القومية... والكرامة...[2]

وحال الشاعر يقول:

الشعب

ذكريـــــات الشـــــعب اللـــــي ابناهـــــا في الأوراس

وزيـــــد جرجـــــرا وفي كـــــل امكـــــان حمـــــاس

لمـــــا أتمـــــس واتظلـــــم عـــــيط ودق الأجـــــراس

وفي المـــــدن النســـــاوين والأولاد حـــــراس

واتفطنـــــت الرجـــــال وخـــــدمت كـــــل الحـــــواس

لنصـــــرة الحـــــق والـــــوطن علقـــــوا نـــــبراس

من قطار الأيام، ص306.

2. بطولة امرأة:

بينما كانت مناضلة جزائرية على أهبة الدخول إلى منزلنا في حي من أحياء القصبة بعاصمة الجزائر إذ أوقفها شرطي فرنسي، وطلب منها أن تتبعه إلى مركز البوليس، فتظاهرت هي بالطاعة، ثم غافلته، وأخرجت مسدسها من تحت لحافها، وأفرغت فيه رصاصات أردته قتيلا... ثم رجعت إلى حيث ينتظرها نضالها الشريف...

وهكذا كانت تشارك الفتاة الجزائرية بصفة فعلية في معرفة تحرير بلادها أسوة بإخوانها المجاهدين والفدائيين في الجبال والوديان ...[3]

جولة في الأوراس

عام 1987
والفصل فصل صيف
وعجوز في عمر جدي
سألتها كيف حالك؟
وهذا جبل الأوراس
قالت:
اخرج قلمك يا سيدي
وأكتب للتاريخ
في الكراس
أنا هنا من الحراس
مات زوجي من سنوات
وهذه القمم تذكرني
تشدني...
إلى البطولات
سأبقى هنا حتى الممات
كي لا ننسى رجولة بالأمس
كانت رمز كل الحريات...

3. مالكي نسيبة:

بصفتي محمد شريف ولد حسين مسؤولا لقطاع سياسي عسكري (الولاية الرابعة) المنطقة الثالثة الناحية الرابعة القطاع الرابع كنت بجبال زكار، وكان علي ألتحق بجبال الونشريس بين شهري سبتمبر وأكتوبر 1957م وكان هناك أخوات مجاهدات أذكر منهن يمينة البسكري الشقيقتان فاطمة والزهرة بلشهب وشفيقة التي كان اسمها الحقيقي نسيبة مالكي وكن يعملن معي بصفة ممرضات مساعدات اجتماعيات وكذلك مجاهدات بأسلحتهن في أيديهن.

الولايات أثناء الثورة التحريرية الجزائرية.

الولاية الأولى: أوراس النمامشة

الولاية الثانية: شمال قسنطينة

الولاية الثالثة: القبائل الكبرى

الولاية الرابعة: الجزائر العاصمة

الولاية الخامسة: ولاية وهران

الولاية السادسة: الصحراء

في حدود عام 1956م كانت شفيقة تنشط بالجزائر العاصمة ومع الإضراب الذي شنه الطلبة وتلاميذ الثانوي اضطرت إلى مغادرة العاصمة والالتحاق بالجبل بناحية زكار ثم الونشريس...

سقطت في ساحة الشرف نهاية سنة 1959م بالمنطقة الثالثة الولاية الرابعة ولم يكن سنها يتجاوز 19 سنة، بعد الاستقلال 1964م تم دفن رفاتها بمقبرة القطار، وقد أطلق اسمها على شارع (فيدرب) بالأبيار يحمل اليوم اسمها مالكي نسيبة. رحمها الله وأسكنها فسيح جنانه...[4]

نسيبة مالكي

لقد كانت نسيبة مالكي تعي ما تفعل في نضالها، وهي واثقة أن الحق دائما مع صاحب الحق، ولهذا واصلت نضالها ووقفت وقفة المرأة الشجاعة رغم الأهوال بجانب الرجل في الجبال والوديان والشعاب رحمها الله وأسكنها فسيح جنانه...

4. فريدة سحنون:

فريدة معروفة باسم (مليكة) لم يكن سنها قد تجاوز الثالثة عشرة عندما التحقت بصفوف جيش التحرير الوطني وقامت بواجبها وجاهدت في سبيل الله والوطن بمنطقة سعيدة التي لم تغادرها إلا في الخامس من جويلية 1962م... توفيت بعد الاستقلال مباشرة...[5]

المجاهدة فريدة سحنون رحمها الله

5. يوميات مجاهدة:

عندما اندلعت الثورة في نوفمبر 1954م لم يكن عمري يتجاوز 15 سنة كنت أقطن العاصمة بحي بلكور وغادرت المدرسة بعد أن أجريت امتحان شهادة الابتدائية.

وفي أوائل سنة 1955م اتصل بي احد الإخوة فانضممت إلى خلية كنت أنا المرأة الوحيدة من بين أعضائها، وقد عبرت منذ البداية عن رغبتي في الالتحاق بالجبال حيث كنت أعلم أن هناك فتيات مثلي يحملن السلاح إلى جانب إخوانهم وكان يقال لي كل مرة تمهلي لازلت صغيرة، فانتظرت...

وأخيرا ففي سنة 1956م أعلمني أحد الإخوة بالاتصال بأخ آخر من سكان حي القصبة والواقع أنهم كانوا في نقل الأسلحة بين الأحياء وخاصة بين بلكور والقبة، والقصبة...

أخفيت المسدسات تحت ملابسي ومحزمتي وأنا أكاد أطير فرحا، وقلت في نفسي أن هناك عددا كبيرا من الفتيات في الجزائر يقمن بهذه الحركات النضالية ويقاتلن من أجل تحرير الجزائر، وحالها يقول:

من أجلك يا جزائر

من أجلك يا جزائر تقرأ التاريخ
نوفمبر في التاريخ
مسيرة الأبطال
لتبقى الجزائر
مولد الأبطال
يوم الاستقلال
طريق جديد
لنبدأ بالعلم والإيمان
سلاحنا العمل في كل ميدان
لنكتب في التاريخ
شعبنا تحرر
ثبتوا الأقدام
وإلى الأمام...[6]

وتمثل عملي خلال هذه الفترة في نقل الأسلحة كنت أقوم أحيانا بأربع أو خمس رحلات كل يوم وكان الحظ دائما بجانبي لأن التي في نصرة المظلوم يوفقها الله هكذا كنت أفكر وأنا في عملي النضالي...

ولم يجر تفتيشي إلا مرة من طرف المظليين وهي المرة التي لم أكن أحمل بها سوى أدوية فتمالكت أعصابي قلت لهم: هذه أدوية اشتريتها لأهلي فأطلقوا سراحي...

وفي آخر سنة 1956م اقتحم المظليون دارنا واعتقلوني كما اعتقلوا أختين وأخوين من حي سلامبي...

ففرقونا وتوجهوا بي إلى مركز المظليين الكائن بسيدي فرج أسكنوني تحت خيمة كانوا يأتون كل صباح لاستنطاقي وأثناء الاستنطاق كانوا ينهالوا علي ضربا بمؤخرات بنادقهم وكان البعض يسيء إلي القول... ودام الحال شهرين... كنت أقول دائما لا أعرف شيئا وفي النهاية انهارت صحتي من جراء هذه المعاملة فأرسلوني إلى مستشفى بني مسوس ومن ثم أطلقوا سراحي.

وبمجرد ما أطلقوا سراحي سمح لي أخيرا بالالتحاق بالجبال فتم تعييني بالولاية الرابعة المنطقة الثانية تحت قيادة: (السي محمد)... كنت أنا المرأة الوحيدة ضمن مجموعة تضم 25 مجاهداً... وواصلت النضال مع إخواني وأخواتي في طريق الحرية والتحرر... [7]

الولاية الثالثة أتممت تكويني كممرضة مع غيري من الفتيات

6. عميروش:

كان العقيد عميروش مناضلا وطنيا ومجاهدا لا يعرف الكلل، ولا الملل، يخوض المعارك الواحدة تلو الأخرى ضد الجيش الاستعماري، وبصفته مسؤولا للولاية الثالثة (القبائل الكبرى) فقد كان يمثل الثوري الحقيقي وكرجل حرب فقد كان يقود المعركة بشجاعة وتصميم.

وقد استشهد العقيد عميروش في نفس الوقت مع العقيد الحواس وذلك في سنة 1959م قرب بوسعادة بينما كان هذان القائدان الثوريان في طريقهما مع فوج من جيش التحرير الوطني إلى تونس حيث سينعقد مؤتمر يضم مسؤولي الكفاح المسلح رحم الله الشهداء...[8]

مواقف

موقف والدة الشهيد:

بعد أيام طويلة من الهواجس والسهر من الأمل والخوف أطلت أضواء الفجر على جثة إبنها الشهيد... إنها الآن تفكر إنها تتساءل في أعماق نفسها هل يجب أن أتحمل عبء الحياة؟ هل أستطيع أن أقوم كل صباح وأذكر نفسي بأن ابني قد مات وأنهم قتلوه؟!

إن أباه هناك في ركن البيت قابع يرنو إلي: إنه لا يتكلم ولكنه يتوجه نحو هذه الحياة العريضة التي تمتد من ورائنا إنني أعرف أن حزنا عظيما يعصف بقلبه أنه يشعر بتعب كبير... أكبر من الحقد ومن اليأس.

لقد أقبل رفقاء إبني (أمحمد) وقالوا لي: (إن ابنك مات ميتة بطولة رائعة إن ابنك مات لتحيا الجزائر...)

إن دمه يغني بنشيد الحرية في شواهق الجبال، إن دمه يصرخ في قلوب المجاهدين، إن دمه يفتح الطريق للفجر للقريب... إنهم قتلوا ابنك، ولكن الجزائر ستحيا، وقام الأب (أب أمحمد) ووضع يده على كتفي وقال لي: إن مهمة كبرى في انتظارنا... إنه يجب أن نكون بأبوته جديرين... انتهى كلام الوالدة...**(9)**

موقف العقيد شعباني من الصحراء الكبرى:

لقد كان العقيد شعباني في موقفه واضحا في المقال الذي وجهه لـ (ديغول) والفرنسيين وللمعنيين بقضية الصحراء ففي العدد الثاني من صدى الجبال، الصادرة عن الولاية السادسة... أكد أن التلاعب الفرنسي في شأن الصحراء ما عاد ينطلي على أحد، وأن هذا التلاعب هو ضحك على الأذقان، واستهتار بالعقول والنفوس ما عاد مقبولا... مؤكدا في ذات المقال على وحدة الجزائر...

وهذا الموقف الواضح الصارم الذي لا يعرف اللين ولا التراجع هو الذي جعل شارل (ديغول) يتراجع عن موقفه الذي أراد به فصل الصحراء عن الشمال الجزائري...[10]

وحالُ الشاعر يقول في العقيد شعباني:

هذه غلطتنا

ظلمتك الأيام
يا أخي شعباني
وأنا من سنوات حيران

❁❁❁

كنت صغيرًا
لا تعرف الأمان
قادك جهادك للذود
عن الأوطان
وقلبك فيه فيض
من الحب بالإيمان
غادرت الدار والمكان
وأبكيت الجيران
في ذلك اليوم
لتلتحق بالإخوان
ولسانك دوما فيه
سؤالان:
أن تحيا عزيزا
أو تموت عندك
سيان...
وانتشر الخبر
حتى العديان
وضعوك في الميزان
وتاريخ الجزائر
لاينسى الإنسان
الذي رفض الهوان

ولوطنه إلا أن يكون
الفخر بين البلدان

❁❁❁

أنت والحواس
يأخي شعباني
حميتو الصحراء
وصارت المرتع
لكل الشجعان
والبلاد اليوم لها
مكان في هذا
الزمان...
هذه غلطتنا
وانتهى النسيان
أنت اليوم والإخوان
للشعب ترجمان
لثورة كانت متينة
وتعيش الكيان
ونسيان التاريخ
معناه الحرمان...[11]

مواقف ومبادئ:

هي جوانب عرفت التطبيق في ميدان الشرف، وهي في صور مبادئ لا تناقش يؤمن بها كل مواطن وكل مواطنة... من هذه المبادئ الحرية هذه التي لا تباع، ولا تشتري، بل هي تؤخذ بالقوة والصبر والمعاناة، والطريق ليس معبدا، بل شائكا وصعبا يحتاج إلى رجالاته، وهم يدركون أي الثوار أن للحرية ثمنا، فإذن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فالنصر قادم لا محالة...

ومن مبادئ الثورة التحريرية الجزائرية الموت فهو في طريق العزة والكرامة وهو شعار من شعائر المؤمن بالوطن، لأن حب الوطن من الإيمان والموت ليس بالذي يحتاج

إلى تفلسف حتى يكون منتجا قادرا على إثبات وجود في الواقع بل هو مبدأ فلسفي يقوده الإيمان بالوطن لا غير...

لقد كان الاستعمار يتفنن في القتل حتى في النساء الحوامل وفي الأطفال الرضع وفي الشيوخ وفي العجائز وفي الحيوانات الأليفة...

ومن المبادئ الفلسفية التي لا تحتاج إلى تفلسف بل إلى تطبيق إنها التضحية من أجل الشرف والكرامة فكانت التضحية شعارا آخر يضاف إلى بقية الشعارات التي لا يمكن أن لا تكون في ذات الثائر أو المجاهد...

ومن المواقف الفلسفية التي كان لها الأثر في نفوس أصحابها موقف جميلة (بوحيرد) التي كانت تقف بين أخوانها وجنود المستعمر في إحدى الطرقات بالقصبة لا تخشى شيئا فالموت في ذاتها يخافها شجاعة، صابرة مدركة لكل حركة هي تقوم بها...وقصة علي بومنجل الذي وقف أمام عساكر الاستعمار في السجن عندما طلبوا منه أن ينزع ملابسه فقال: إنني أستحي أن أكون عاريا أمامكم واحتراما لكم لا أستطيع أن أنزع ما علي من ملابس...[12]

موقف أخلاقي التفت الضابط إليه في لحظة وعي... فتركوه في الزنزانة وخرجوا إلى بعد حين.

فالجوانب الفلسفية للثورة التحريرية الجزائرية هي مفاهيم، ومبادئ قامت عليها، ولا تحتاج إلا إلى تطبيقها كالحرية والموت من أجل الوطن والدفاع عن الشرف والصبر والشجاعة إنها فلسفة عملية ليس في حاجة إلى شروح وتوضيح فهي فلسفة ثورة غايتها الحرية والاستقلال لا غير وقد كان لها ما أرادت...

الهوامش والمراجع:

(1) محمد شطوطي، في قطار الأيام (شعر)، دار المواهب، الجزائر، 2011، ص218.

(2) المقاومة الجزائرية، لسان حال جبهة التحرير وجيش التحريرالوطني، وزارة الأعلام، الجزائر، 1984، العدد 8، ص3.

(3) محمد شطوطي، في قطار الأيام، دار المواهب، الجزائر، 2011، ص306.

(4) محمد شريف ولد الحسين، في قلب المعرفة، تقديم الحاج بن علاء، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007، ص179.

(5) المرجع السابق، ص96.

(6) محمد شطوطي، في قطار الأيام، دار المواهب، الجزائر، 2011، ص248.

(7) من جيش الحرير الوطني إلى الجيش الوطني الشعبي، وزارة الأعلام، والثقافة، الجزائر، 1979م، ص76.

(8) المرجع السابق، ص102.

(9) المقاومة الجزائرية، ص9.

(10) العقيد محمد شعباني هو الطاهر شعباني المكنى محمد بن أبرز القادة العسكريين للثورة الجزائرية في مرحلتها الأخيرة ويتمتع بتكوين سياسي وثقافي ممتاز وأصيل ولد بأوماش ولاية بسكرة سنة 1934م تلقى التعليم الأولي بمسقط رأسه، ثم ببسكرة التحق بمعهد ابن باديس بقسنطينة عام 1950م.التحق بالثورة بعد اندلاعها مباشرة وهو أصغر عقيد في جيش التحريرالوطني قائد الولاية السادسة بعد استشهاد العقيد سي الحواس توفي في 1964م، (لزهر بديدة دراسات في تاريخ الثورة الجزائرية، ص253).

(11) محمد شطوطي، في قطار الأيام، دار المواهب، الجزائر، 2011، ص256- 257.

(12) جان بول سارتر، عارنا في الجزائر، ترجمة سهيل إدريس، مكتبة عويدات، لبنان (ب.ت) ص45.